

البيان في تفسير القرآن

(477) " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً 32: 16. وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين 7: 56. يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه 17: 57. " 3 - أن يعبد الله بما أنه أهل لأن يعبد، فإن الكامل بالذات والجامع لصفات الجمال والجلال. وهذا القسم من العبادة لا يتحقق إلا ممن اندكت نفسيته فلم ير لذاته إنية إزاء خالقه، ليقصد بها خيراً، أو يحذر لها من عقوبة، وإنما ينظر إلى صانعه وموجده ولا يتوجه إلا إليه، وهذه مرتبة لا يسعنا التصديق ببلوغها لغير المعصومين (عليهم السلام) الذين أخلصوا أنفسهم فهم المخلصون الذين لا يستطيع الشيطان أن يقترب من أحدهم: " ولاغوينهم أجمعين 15: 39. إلا عبادك منهم المخلصين: 40 ". قال أمير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه: " ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك " (1)، وأما سائر العباد فتنحصر عبادتهم في أحد القسمين الأولين، ولا يسعهم تحصيل هذه الغاية. وبذلك يظهر بطلان قول من أبطل العبادة إذا كانت ناشئة عن العطمع أو الخوف، واعتبر في صحة العبادة أن تكون ما هو أهل للعبادة ووجه بطلان هذا القول: أن عامة البشر غير المعصومين لا يتمكنون من ذلك فكيف يمكن تكليفهم به! وهل هو إلا تكليف بما لا يطاق؟! _____ (1) مرآة العقول باب النية ج 2 ص